الأبعاد الدلالية والتداولية للنص المصاحب
" في موطأ الإمام مالك "

الأستاذ: غصاب منصور الصقر
والدكتور : رابح بومعزة
قسم اللغة العربية و آدابها
جامعة السلطان قابوس

ملخـــص:

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة الأبعاد الدلالية والتداولية للنص المصاحب، في موطأ الإمام مالك بن أنس من خلال نماذج مختارة اختيرت لذلك.

قامت هذه الدراسة على فكرة أساسية مفادها أنَّ الدلالة والتداول في موطأ الإمام مالك لا تتوقف عند حدود النص اللساني، بل تتعداه إلى النص المصاحب الذي يشمل إشارات أعضاء الجسم الإنساني مثل الوجه واليد والعين والرأس والرجل والفم والأذن. فدلالات هذه الأعضاء تمثل رافدًا مهمًا من روافد الإبانة والتوضيح، عن المعاني، ومقاصد المتكلم في عملية التواصل الإنساني؛ فتؤثر في سلوكاتهم بشكل كبير، وتترجم كل ما يدور في خلجات أنفسهم الداخلية عبر أعضاء الجسم الخارجية.

وقد كشفت الدراسة - من خلال تتبع النصوص المصاحبة - عن أهمية هذه النصوص في توضيح المعاني الدقيقة؛ لما تضمَّنته من دلالات إشارية جسمية.

Abstract:

This study aims to examine the dimensions of semantres and Pragmaticals pragmatris a text in Muwatta Imam Malik bin Anas through selected models chosen.

This study was based on the idea that the fundamental Semantic and Pragmatics in Malik's Muwatta do not stop at the borders of the linguiotic text, but extends to the accompanying one, which includes movements of the human body, such as facial expressions, hands, eyes, head and the legs, mouth and ears. These signify movements represent an important tributary of designation and illustration, meanings and purposes of the speaker in the process of human communication; that affect their behavior dramatically, and translates everything that goes on inside of themselves through the outer parts of the body.

The study of accompanying texts revealed their importance in clarifying precise meamings since they include body movements signals revealed connotations that come in Muwatta are anger, admiration, sickness, smiling, respect, appreciation, waking, and other meanings that do not appear in the linguistie texts, but appear in context and clues.

تمهيد:

اللغة وسيلة للتعبير، وأداة لنقل الآراء والأفكار والانفعالات، وتتكون من نصوص لسانية (أصوات، ومقاطع، وكلمات، وجمل) ونصوص مصاحبة (غير لسانية) (إشارات، حركات، وهيئات، ...).

إنَّ موطأ الإمام مالك يتضمن فضلًا عن النصوص اللسانية نصوصًا مصاحبة دالة كونها ترتبط بنشاط الإنسان وسلوكاته اليومية. وما كان استخدام الرسول - صلى الله عليه وسلم – لها إلا دليلًا على أهميتها في توضيح المعنى وتحقيق التواصل. ولما كانت النصوص المصاحبة بهذه الأهمية والمكانة وجب دراستها بوصفها نصوصًا توظَّف في خدمة المعنى المراد من السياق المقامي والإبلاغي الذي جاءت فيه.

وعليه، فإنَّ النص المصاحب يبقى موضوعًا خصبًا يبحث عن الإجراءات التي تكشف عن أبعاده الدلالية والتداولية، وتضعه موضع بحث ودراسة؛ لذا، يمكن للنص المصاحب أن يفتح لنا مدخلًا يمكننا من إعادة قراءة نص الحديث النبوي الشريف قراءة جديدة، مع مراعاة المواضعات العلمية لعلم الحديث الشريف.

وانطلاقًا من هذه الرؤية، جاء بحثنا هذا ليقف على أهمية النص المصاحب في عملية التواصل، وبيان الدلالات التي يحددها، من خلال دراسة الأبعاد الدلالية والتداولية له، حسب نظرية بورس في العلامات. وسنرصد مفهوم النص المصاحب، ووظائفه، وأنساقه في الموطأ. إذ اخترنا أنموذجًا واحدًا لكل نسق من أنساق النصوص المصاحبة ،بدءًا بالإشارة بالوجه، فاليد، فالعين، فالرأس، فالرجل، فالفم، وانتهاء بالإشارة بالأذن.

1- أبعاد العلامة وأصنافها ومستويات تأويلها ومقولاتها عند بورس:

1-1- أبعاد العلامة*:

1-1-1-البعد التركيبي(بعد الممثل): علاقة العلامة مع ذاتها، والعلامة في ذاتها مجرد كيفية بدون وجود بصفتها أولى، وكيفية موجودة بصفتها ثانية، وعرفية (قانون) بصفتها ثالثة. والعلامة بوصفها كيفية هي التعبير الخالص عن مقولة الأولية. وهو بعد أولي يتعلق بالعلامات اللسانية

وغير اللسانية ويتشكل من مختلف الوحدات التي تتكون منها العلامة. فلو أخذنا اللغة على سبيل المثال لقلنا إنها تتكون من فونيمات ومورفيمات ووحدات معجمية[1]. ويتشكل هذا البعد من العلامات الفرعية الآتية: - **الكيفية:** علامة مجردة ظاهرة أو كيفية بحتة من الألوان والصفات. – **الفردية:** تكون عندما يحصل في الخارج شيء أو حدث فردي كإشارات المرور. – **العرفية:** لا ترتبط بتحقيق مخصوص فتبقى في ذاتها مثل الرموز الرياضية[2]. وهذا البعد هو بعد الممثل: الذي هو عنصر من عناصر العلامة، يعادل الدال عند سوسير، وهو شيء يحل محل شيء آخر[3].

1-1-2-البعد الدلالي (بعد الموضوع): علاقة العلامة مع موضوعها. وهو" ما يقوم الممثل بتمثيله سواء أكان هذا الشيء واقعيًا أم متخيلًا أم قابلًا للتخيل أم لا يمكن تخيله على الإطلاق. فالموضوع عنصر من العلامة يتحول بدوره إلى علامة تحقق معرفة مباشرة من خلال الفعل مباشرة وهذا ما يسميه بورس بالموضوع المباشر أو الموضوع الدينامي فهو المعرفة غير المباشرة للموضوع تفترض من خلال تحققها في السياق، فهو حصيلة لسيرورة سيميائية"[4]. ويحتوي هذا البعد على العلامات الفرعية الآتية: - **الأيقونة:** علامة تدل على موضوعها نتيجة لوجود شبه بينهما[5]، سواء أكان الموضوع موجودًا أم غير موجود[6]. – **القرينة:** هي التي تدل على موضوعها نتيجة لوجود الترابط المباشر والحيوي (dynamically connected) الذي يجمع بينها وبينه؛ لأنها - في الواقع – متأثرة به من جانب، وبينها وبين حواس الشخص من جانب آخر[7]– **الرمز:** هو الذي يدل على موضوعه بفضل وجود عرف، الذي هو غالبًا ما يشكل مجموعة من الأفكار العامة تحدد تأويل الرمز بإسناده إلى ذلك الموضوع[8].

1-1-3- البعد التداولي (بعد المؤوَّل): علاقة العلامة مع مؤوَّلاتها. وهو الذي يشكل أداة التوسط الإلزامي بين الممثل والموضوع الذي يقود معطيات التجربة الصافية إلى التزيي بزي القانون والضرورة والفكر. إنَّ غياب العنصر الثالث داخل سيرورة إنتاج العلامة معناه الاقتصار على تجربة غفل لا تعرف الفكر ولا تعرف الماضي ولا المستقبل. إنَّها مثيرات لحظية تنتهي بانتهاء اللحظة التي أنتجتها[9]. وهو بعد ثالثي يعنى بقواعد التأويل. المعاني لا تمدنا بها

اللغة بوصفها أولية ولا الأشياء بوصفها ثانوية، إنَّما الثالثية أي الفكر الذي هو موضوع التداولية[10]. والعلامة هنا عبارة عن قانون عام ويعبر عن عموميته تلك بواسطة الأنماط الثلاثة الآتية: - **الخبر**: كل علامة مفردة أو مركبة تصلح لأن تكون حكمًا أو حدًا في الحكم. – **التصديق**: كل علامة قابلة للحكم أي إنَّها تقبل الصدق أو الكذب. – **الحجة**: هي تأليف من العلامات لا يتعلق سوى بالقواعد البرهانية[11]. ويشكل بالنسبة إلى مؤوّله علامة قانون، والعلاقة الحجية علاقة عقلية فهي إما صادقة أو كاذبة[12].

2-1- مستويات تأويل العلامة: يشتمل المؤوَّل على ثلاث مستويات: **التأويل المباشر**: ما تقترحه العلامة في صنيعتها البدئية، وهو البعد الممثل في العلامة. والمؤوَّل المباشر هو الذي تعيّنه العلامة. **والتأويل الديناميِ**: الفعل الواقع الذي تحدثه العلامة في الذهن. **والتأويل النهائي**: هو الأثر الواقعي الذي تحدثه العلامة في الذهن بعد تطور كاف للفكر. وهو الحالة التي نحيل بها ممثل ما إلى موضوع ما والتي يكتسبها بالتجربة، أي الاستقرار على مدلول بعينه[13].

1-3- المقولات الفانيروسكوبية:الفانيرون Phaneron: كل ما يوجد في ذهن كل كائن في كل زمان ومكان سواء طابق شيئًا أو لم يطابقه. **الفانيروسكوبية Phaneroscopy:** العلم الذي يعتمد على الملاحظة المباشرة للفانيرونات (الظواهر)، وبتعميم هذه الملاحظة يميز بين كثير من الأقسام الكبرى لها، ويصف خصائص كل قسم منها، ثم يؤكد أنَّ كلية المقولات الكبرى للفانيرون تختصر في لائحة شديدة القصر، ويبدأ أخيرًا في العمل الدقيق والصعب الذي يتلخص في تعداد الأقسام الصغرى الأساسية لهذه المقولات، التي تشتمل على مقولة الإحساس (**الأولية**) (**Firstness**)، ومقولة التحقق أو الوجود (**الثانوية**) (**Secondness**)، ومقولة الفكر أو القانون (**الثالثية**) (**Thirdness**)[14].

2- مفهوم النص المصاحب:

للنص المصاحب تسميات متعددة في اللسانيات الحديثة، نحو: لغة الحركات الجسمية، أو لغة الكينات، أو لغة الجسم، أو لغة الجسد (**body language**)، واللغة

البصرية، والتواصل بالحركات، أو وسائل التعبير غير اللفظية (**non-verbal expression**)، أو التواصل غير اللفظي (**non-verbal communicatio**)[15]...إلخ.

ويقصد بالنص المصاحب في هذا البحث العلامات الإشارية الجسمية (غير اللسانية) المصاحبة للنص اللساني (العلامات اللسانية)، التي تصدر عن جسم الإنسان، ويلجأ إليها المتواصلون للتعبير عن المعاني المخزونة في نفوسهم.

وإشارات الجسم هي: إشارات وإيماءات جسميّة ترسل رسالات محددة، في مواقف وظروف مختلفة ، تظهر لك المشاعر الدفينة وتخرجها للسطح ، فتصل من خلالها معلومات أو أفكار عن الشخص الآخر .بحيث لا يستطيع إخفاء الأفكار التي تدور في ذهنه[16]. أو هي حوار نفسي يجري بين الأطراف المعنية والمعاني المنتقلة بينهم ، لا من خلال النطق ، بل من خلال الصمت والملامح العامة للإنسان الصامت ؛ كنظرات العيون ، وتعبيرات الوجه ، وحركات الجسم[17].

ومن الناحية الفسيولوجية إنَّ الإشارة عبارة حركيّة جسميّة تأخذ إيعازاتها عبر أعصاب الدّماغ التي تحررت من رقابة العقل، فمثلًا قد تكون الرسالة الدّماغية الواعية بالنفي عبر الرأس[18]. والإيماء والإشارة -عند علماء النفس- سلوك لغوي غير لساني (**nonverbal behavior**). وما هذا السلوك إلّا استجابة واعية لمنبه أو لمثير، يتم من خلاله دفع المتكلم إلى التعبير عن هذا السلوك بلغة لسانية أو غير لسانية، أوبهما معًا[19].

3- وظائف النص المصاحب:

تختلف وظائف النص المصاحب من ثقافة إلى أخرى، فمثلًا هزّة الرأس تعني (لا) في معظم الثقافات، ولكنّها في بلغاريا تشير إلى الموافقة[20]. والنّظرة المُحدَّقة اليابانيّة تكون إلى العنق بدلًا من الوجه، وللأوروبيّين الجنوبيّين تردّد تحديق مرتفع قد يوحي بالإهانة إذا لم يتبيَّنه غيرُهم[21].وتدلّ علامة الحَلْقَة في البلدان الناطقة بالإنجليزية، ومعظم بلدان أوروبا، وآسيا على أنَّ هذا الأمر حسن، وعلى الموافقة، وعلى الصّفْر في فرنسا (لا

شيء)، وعلى المال في اليابان، وعلى الفوّهة في بعض بلدان حوض البحر المتوسط[22].

أما وظائف النص المصاحب فإننا نوردها في الآتي ذكره:

1- **التكرار:** يكون عند إعادة ما تمّ التعبير عنه لفظًا بوساطة الإشارة. مثال ذلك: عندما نعيّن مكانًا معيّنًا لشخص ما، ثُمَّ نشير إلى موضعه باليد.

2- **التناقض:** يحدث عندما يكون هناك تعارض وتناقض بين النص اللساني والنص المصاحب، كأن يقول المتكلم شيئًا ما، ويغمز بعينه ليدلّ على أنّه يعني غير ما يقول.

3- **التعزيز:** يتمّ ذلك لتدعيم النص اللساني. مثال ذلك: فعندما يصافح إنسان إنسانًا آخر يشدّ على يده بحرارة، فإنَّ ذلك يبرز محبته له.

4- **التعويض:** يعوِّض النص المصاحب النص اللساني في بعض المواقف، فنظرات العيون قد تغني عن الكلام عندما تعبّر عن الإعجاب.

5- **التنظيم:** يقوم النص المصاحب بتنظيم الأدوار بين المتكلّمين في أثناء عملية التّواصل، كتحريك الرأس للدلالة على الإصغاء الجيّد، أو رفع اليد كعلامة إلى الرغبة في الحديث، أو إعطاء إشارة معينة للشخص من أجل إكمال حديثة، أو انتهاء الوقت المخصص له بالحديث.

6- **التكميل:** تكون عندما يُتبَع النص اللساني بنص مصاحب مكمّل أو معدّل له، كأن يطلب شخص من شخص ما مبلغاً من النقود دَيْنًا، فيظهر العبوس على وجهه كعلامة على الرفض.

4- أنساق النص المصاحب:

الجسم عالم مليء بالمعاني والرموز، وهو نص مصاحب دالّ لشخص صاحبه. فلقد وردت نصوص مصاحبة كثيرة في موطّأ الإمام مالك، وتباينت أبعادها الدلالية والتداولية، كالإشارة بالوجه، والعين، واليد، والرّجل، والرّأس، والفم، والأذن.

4-1- الإشارة بالوجه:

يعدُّ الوجه وسيلة مهمة من الوسائل التي تساعد على إظهار الانفعالات، والمشاعر الإيجابية والسلبية، سواء أكانت مقصودة، أم عفوية، فهو يختزل دلالات نفسية شتّى، تعبّر عما يدور في الذهن ويمور في الوجدان، ويكاد الوجه ينطق بوساطة أطياف

لونه وتموجاته، وانقباض العضلات واسترخائها، وهو خطاب جسدي يضمر خطابًا لغويًا يقتضي متلقيًا بصيرًا بالتغيرات الفسيولوجية التي تتجلى في قسمات الوجه، ويرى فخر الدين الرازي " أنَّ الأحوال الظاهرة في الوجه قوية الدلالة على الأخلاق الباطنة؛ فإنَّ للخجالة لونًا مخصوصًا في الوجه، وللخوف لونًا آخر، وللغضب لونًا ثالثًا، وللفرح لونًا رابعًا، وهذه الألوان متى حصلت في الوجه فإنه يقوّي دلالتها على الأخلاق الباطنة"[23].

إنَّ الوجه يكاد يكون مرآة عاكسة لعواطف الإنسان ومشاعره الدّاخليّة. إذ يرى كناب (Knapp) وهال (Hall) أنَّ الوجه يعبّر عن ستة انفعالات رئيسة: الغضب، والفرح، والحزن، والدّهشة، والإشمئزاز[24].

2-4- الإشارة باليد:

"تمتاز يد الإنسان عن أيد سائر الحيوانات بلباقتها ودقة حركتها، ونحافة تركيبها .فتأتي من الأعمال بما لا تستطيعه الحيوانات الأخرى. ومهما قيل في إتقانها ، فهي ترشد قلم الكاتب ، وفرشاة المصوّر، وريشة الجراح ، وملقط الصائغ ، ومبرد الحداد ، وهي التي تطعم الطعام ، وتلبس اللباس، وتصطنع أدوات الزينة ، بل هي معين الدماغ ورئيس أركان حربه ، وخادم العقل . بل هي أشرف خدمة العقل ولاسيما في الصناعة"[25].

الإشارة باليد نص مصاحب يستخدمه المرء للتّواصل مع الآخرين. إذ جعل الجاحظ الإشارة باليد من تمام حسن البيان[26]. وخصّص الثعالبي في كتابه (فقه اللغة وسرّ العربية) فصلًا بعنوان (فصل في تفصيل حركات اليد وأشكال وضعها وتقليبها)[27].

جمع الثعالبي في هذا الفصل بين ما جمع حمزة الأصبهاني، وبين ما بعده عن اللحياني، عن ثعلب، عن ابن الأعرابي، وغيره. حيث يقول: " إذا نظر إنسان إلى قوم في الشمس ، فألصق حرف كفّه بجبهته،فهو: الاسْتِكْفَافُ. فإن زاد في رفع كفّه عن الجبهة، فهو: الاسْتِشْفَافُ. فإن كان أَرفع من ذلك قليلًا، فهو: الاسْتِشْرَافُ"[28].

فإن جعل كفيه على المعصمين، فهو: الاعْتِصَامُ. فإذا وضعهما على العَضُدَين ، فهو: الاعْتِضَادُ. فإذا حرَّك السَّبَّابة وحدها، فهو: الألْوَاءُ. قال مؤلف الكتاب : لعل اللِيَ

أَحسنُ، فإن البحتري يقول[29]:

لَوَتْ بالسَّلام بَنَانا خَضِيبَا وَلَحْظاً يَشُوقُ الفُؤَادَ الطَّرُوبَا*

إذا كانت الإشارة باليد جزءًا من اللغة لدى الأسوياء من النّاس، فإنّها تبقى اللغة الأساسية والوحيدة لدى الصّمّ والبكم. فلقد استطاعت الإشارات اليدوية أنْ تعوّض الأصوات المنطوقة بحركات تقابل كل واحدة منها صوتًا لغويًّا[30].

للكفّ علائق عصبية مع الدّماغ، حيث إنَّ اليد هي"أداة امتداد الدماغ ، والجزء الوحيد في الجسم البشري الذي هو دومًا تحت العينين ، والرابطة المميزة مع العالم الخارجي"[31]، وتختزل دلالات شتى، وتؤدي وظائف متنوعة، يحدّدها السياق الذي تُستخدم فيه. فالكفّ تكون علامة على الوفاء بالوعد عاجلًا، كما في قول المثنّى بن خارجة: "عِدَة المؤمن أخذ بالكفّ. وقيل: "وعد الكريم تعجيل، ووعد اللئيم مَطْل، وتسويف". وتستعمل اليد - أيضًا - علامة على الكرم، والسّخاء الدّالّين على الظَّرْف[32]. وهي علامة على المحبّة والقرب والثّقة.

الأصابع جزء من يد الإنسان تحمل دلالات إيجابية وسلبية شتّى؛ فإذا كان الإبهام متّجهًا إلى أعلى مع ضم باقي أصابع اليد إلى باطن الكفّ فإنه يدلّ على النجاح أو على الموافقة، والإشارة بالوسطى والسّبابة مع ضم الخنصر والبنصر تحت الإبهام تدلّ على النّصر أو على القرب حسب السّياق الذي تستخدم فيه، أمّا إذا كان اتجاه الإبهام إلى أسفل فإنّ ذلك يحمل دلالة سلبية، كالرّفض أو عدم التأييد، وتشير السبّابة - أيضًا- إلى مكان أو اتّجاه معيّن، وعندما تشبك الأصابع معًا تدلّ على الاتّحاد والقوّة، وفي لغة الصمّ والبكم تستعمل الأصابع للتواصل مع المجتمع.

استخدم العرب قديمًا إشارات الأصابع في البيع والمعاملات استغناءً عن التّلفّظ بالأعداد؛ إذ يقول ابن حجر في الفتح: "أمّا عقد الحساب فإنّه اصطلاح للعرب تواضعوه بينهم؛ ليستغنوا عن التّلفّظ. وكان أكثر استعمالهم له عند المساومة في البيع، فيضع أحدهما يده في يد الآخر فيفهمان المراد من غير تلفّظ؛ لقصد ستر ذلك عن غيرهما ممن يحضرهما.

فشبّه [الرسول] - صلى الله عليه وسلم - قدر ما فُتح من السّدّ بصفة معروفة عندهم(...)"[33].

وهناك علاقة وثيقة بين إشارة اليد والوضع الذي يتّخذه المتكلّم أو المستمع، فتنشأ عنها دلالات مهمّة. فإسناد الرأس إلى اليد مع جعل السبابة في وضع عمودي والإبهام أسفل الذقن فإنّها دلالة على الإصغاء الجيد، وعلى التّفكير العميق أو الانتقاد. وإمساك الذقن بطرفي السبابة والإبهام مع طأطأة الرأس دلالة على الهمّ والتفكير العميق[34].

4-3- الإشارة بالعين:

العين مرآة القلب والوجدان، وهي "أكثر الأعضاء تأثّرًا وتأثيرًا، فهي تتأثّر بما تقرؤه في الآخرين، وتؤثّر فيهم حين تقرؤها عيونهم، تتأثّر فتخلّف في ذات صاحبها الحزن أو السرور، وتؤثّر ،فتهيج ما كان دفينًا في الآخرين،بللها قدرة قوية على اختراقهم لتصل إلى مكنونات نفوسهم؛ إضافة إلى أنّها هي نفسها تكشف عما في نفس صاحبها من المعاني والدلالات الكثيرة"[35].

ويَعُدُّ ابن حزم الأندلسي العين أهمّ الحواس الخمس في إدراك المراد، إذ يقول: "واعلم أنَّ العين تنوب عن الرُّسل، ويُدرَك بها المراد، والحواس الأربع أبواب إلى القلب، ومنافذ نحو النّفْس، والعين أبلغها، وأصحّها دلالة، وأوعاها عملًا، وهي رائد النّفْس الصّادق، ودليلها الهادي، ومرآتها المجلوّة التي بها تقف على الحقائق، وتميّز الصّفات، وتَفْهم المحسوسات"[36].

ويمضي ابن حزم في وصف إشارة العين بقوله: "فالإشارة بمؤخّر العين الواحدة نهي عن الأمر وتفتيرها إعلام بالقبول، وإدامة نظرها دليل على التوجع والأسف، وكسر نظرها آية الفرح، والإشارة إلى إطباقها دليل على التهديد، وقلب الحدقة إلى جهة ما ثُمَّ صرفها بسرعة تنبيه على مشار إليه، والإشارة بمؤخر العين كلتاهما سؤال، وقلب الحدقة من وسط العين إلى المآق بسرعة شاهد المنع،و ترعيد الحدقتين من وسط العين نهي عام"[37].

وتتّخذ العلامة الإشارية للعين – أيضًا - أشكالًا تعبيرية أخرى، تؤدّي وظائف

تواصليّة متباينة؛ فالنّظر مثلًا مباشرة في وجه مخاطبك قد يكون علامة على الإصغاء الجيّد، أمّا النّظر إلى أسفل قد يدلّ على الخجل أو الاحترام، وكذلك إغلاق العينين أو تحويل النظرات يدلّ على الرفض أو السخط، وقد يدلّا تساع العينين على القبول أو الدهشة.

4-4- الإشارة بالرأس:

تعدّ الإشارة بالرأس من أكثر الإشارات شيوعًا في جسم الإنسان. وهذه الإشارة هي علامات دالّة، كالقبول، عندما يهزّ الإنسان رأسه إلى أسفل، والخجل عندما ينكّسه، والكبرياء عندما يرفعه إلى أعلى، والاتجاه عند الإشارة إلى جهة معيّنة، والدّنو إلى المتكلّم والإصغاء إليه، كما في قول يحيى بن ماسويه الطبيب للمتوكّل الذي حُمّ يومًا عقِب شرّ وقع بينه وبين قبيحة، أم ولد المتوكّل، والمعتز:

فحَرّكَ رَأسَه ودنا إليَّ وقالَ الحُبُّ ليْسَ لَهُ طَبِيْبُ (38)

وملامسة الشَّعر هي مرادف لقلّة الثّقة بالنّفس والشّعور بعدم الاطمئنان وفقدان الأمل، وطي الرأس مرارًا في أثناء الاستماع إلى حديث أحدهم هو دليل اهتمام بما يقوله، وإمالة الرأس ترمز إلى الاهتمام بالشّخص أو بالشيء، ويعدّ انخفاض الرأس إشارة سلبية على قبولٍ لهزيمة، ويدلّ رفع الرأس عاليًا مع شخوص البصر نحو الأفق البعيد على الضيق والتذمر، ويدلّ الالتفات المتعمّد يمينًا أو يسارًا على الاستهانة ، أو على الرّفض.

4-5- الإشارة بالرِّجْل:

الرِّجْل جزء مهم من أجزاء الإنسان الجسمية ووسيلته الوحيدة في المشي والركض وغيره. فمن خلال مِشْيَة المرء نستطيع أن نتعرّف على أحاسيسه ومشاعره؛ لأن المشي يعدّ جزءًا من شخصيّته، فكل شخص له مشية خاصة به؛ فالأشخاص السعداء يتمتعون بخطوات خفيفة، والمقهورون يمشون ببطئ، وتكون وقفاتهم منحنية، وأقدامهم ثقيلة(39).

علامات الإشارة بالرِّجل تؤدّي وظائف متعددة، فالمشي السريع مع وضع مستقيم دليل على الثّقة بالنّفس، ووضع القدمين المتمركزة على نطاق واسع من بعضهم بعضا علامة على الهيمنة والقوّة، والجلوس مع فتح السّاقين تعني أنّ هذا الشّخص مستريح وآمن في

محيطه، وركل الأقدام قليلًا عند الجلوس بعقد السّاقين توحي بالملل أو نفاد الصّبر، وعقد الكاحلين إشارة إلى الاسترخاء.

4-6- الإشارة بالفم:

تختزل منطقة الفم عددًا كبيرًا من المشاعر والأحاسيس، إذ تعدّ منطقة الايتسامة والضّحك الرئيسة، فالضّحك إشارة ناتجة عن انفراج الشفتين للتعبير عن الانكشاف والبروز في حالتي الانبساط والرّضى الظاهر سرورًا، أو هزوًا، أو عجبًا(40). ويسهم في الضّحك أكثر من عضو كالفم، والشّفتين، والوجه بما يظهر عليه من علامات السرور، والأسنان من حيث بدوُّها، وقد يصحب الضّحك صوت كالقهقهة(41).

تُعَدُّ الابتسامة وسيلة من وسائل الاتصال غير اللساني لدى الكائن البشري.تبدو في ظاهرها سلوكًا إنسانيًا بسيطًا، لكنّها في حقيقتها سلوك معقد، فهي نفسيًا تحتوي على أنواع ومعان، فهناك الابتسامة الصادقة، والزائفة، والخجلى، والمنافقة، والغامضة والقلقة، والبسيطة، والعريضة، والمُجامِلة، وغيرها.كما أنّها تحتوي مجازًا على ألوان، فهناك الابتسامة البيضاء (الصادقة)، الصفراء (الزائفة)، والسوداء (اليائسة)، وغيرها.

ويؤكد علماء النّفس أنَّ الشخص الذي يبتسم كثيراً يكون له تأثير إيجابي في الآخرين أكثر من الشخص الذي يبدو وجهه جادًا دائمًا، لذلك يعدّ المبتسمون أشخاصًا دافئين ودودين.ولأنّ الابتسامة أنواع، فإن الإنسان المتلقي يعرف أكثر من غيره معنى الابتسامة المقصودة والموجّهة إليه، ويستشعر العواطف والأحاسيس التي تنطوي عليها.

الابتسامة هي المفتاح السحري للقلوب المغلقة،بها تكسب حب من حولك، ومن تتعامل معهم،وأنجع الناس في حياتهم الأسرية والعملية والاجتماعية هم الذين يتمتعون بابتسامة جذابة، متفائلة، صادقة.والابتسامة تساهم في التوازن النفسي وهي نوع من العلاج الوقائي لما يواجه الفرد في حياته من ألم وحزن، كما أنَّها - أيضًا - تحدد المشاعر وتدلّ على الشخصيّة.

4-7- الإشارة بالأذن:

الأذن هي عضو يستخدم من قبل الكائنات لاستشعار الصوت ضمن ما يعرف

بحاسة السمع.يستخدم المصطلح إمّا للإشارة للعضو الخارجي الظاهر من الجهاز السمعي أو عن كامل الجهاز السمعي الداخلي المسؤول عن المعالجة الأولية للصوت(42).

للأذن وظيفة أخرى بالإضافة للسمع وهي حفظ التوازن، فهي تحتوي في الأذن الداخلية على أعضاء خاصة تستجيب لحركات الرأس فتعطي الدماغ معلومات عن أي تغيير في وضع الرأس. فيقوم الدماغ ببعث رسائل إلى مختلف العضلات التي تحفظ الرأس والجسم متوازنين، كما في حال الوقوف، أو الجلوس، أو أي حركة أخرى(43).

تتكوّن الأذن الخارجية من جزءين هما: الصّيوان، والنّفق السمعي الخارجي. الصّيوان :هو الجزء المنحني والظاهر من الأذن خارج الرأس، وهو خال من العظام، ويتكون أساسًا من نسيج متين ومرن يُسمّى: الغضروف، الذي يُغطّى بطبقة رقيقة من الجلد، ويسمّى الجزء الأسفل المتدلّي من الصيوان بشحمة الأذن (الرَّوم) وتتكون من مادة دهنية.تربط ثلاث عضلات الصيوان بالرأس، وليس لهذه العضلات استعمال مفيد لدى الإنسان إلا أنّها يمكن أن تتحرك عند بعض الأشخاص مما يجعل آذانهم تهتز. وتنمو هذه العضلات عند بعض الحيوانات نموًا كبيرًا وتتحرك بصورة جيدة، ممّا يمكّن القطط والكلاب والثعالب والخيول والأرانب من توجيه آذانها نحو مصدر الصوت، وتزداد بالتالي حدة السمع لديها(44).

ترتبط شحمة الأذن بالجانب المتعلق بالأحاسيس والمشاعر، فالإمساك بشحمة أذن إنسان ما يحمل دلالات متنوعة، كالتهديد، أو التنبيه، أو التأنيس.

5- نماذج تحليلية للنصوص المصاحبة:

5-1- أنموذج الإشارة بالوجه:

"وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ سَأَلَهُ إِبِلًا مِنَ الصَّدَقَةِ، **فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى عُرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، وَكَانَ مِمَّا يُعْرَفُ بِهِ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ أَنْ تَحْمَرَّ عَيْنَاهُ**، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْأَلُنِي مَا لاَ يَصْلُحُ لِي وَلاَ

لَهُ، فَإِنْ مَنَعْتُهُ كَرِهْتُ الْمَنْعَ، وَإِنْ أَعْطَيْتُهُ أَعْطَيْتُهُ مَا لاَ يَصْلُحُ لِي وَلاَ لَهُ ". فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لاَ أَسْأَلُكَ مِنْهَا شَيْئًا أَبَدًا "(45).

أثار سلوك الرجل الذي من بني الأشهل الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما طلب أكثر مما يستحق على أجره من أموال الصدقة فاستجاب له الرسول - صلى الله عليه وسلم - بتعبير طبيعي فطري غريزي (تغير ملامح وجهه واحمرار عينيه)؛ ليعبّر عن انفعاله تجاه هذا الطلب. وبالنظر إلى علاقة العلامة الإشارية هذه (الممثل) (Representamen) مع ذاتها فإنَّنا نرى أنَّها كيفية (Qualisign) معزولة عن سياقها، وقضية متروك مكان حدها فارغًا، ليس لها أية دلالة، وليست قابلة للتأويل إلا على المستوى الأول، وهو التعبير الخالص عن الأولية (Firstness)، فهي خبرية (Rheme)، لا تقول أكثر مما تسمح لها طبيعتها الخبرية قوله، ولا تصلح أن تكون حكمًا بل حدًا في الحكم، ومن ثم فهي لا تحتمل الصدق ولا الكذب. فاللون الأحمر لا يمكن أن يدلَّ على موضوعه إلا لشبه ما، وعليه لا يمكن أن تكون العلامة إلا أيقونة (Icon) . فالعلامة في المستوى التأويلي الأول هي كيفية أيقونية خبرية.

والعلامة الإشارية ممثل ينتظر الارتباط بغيره من القرائن؛ ليصنع علامة كبرى واضحة الدلالة، فهو لا يزال مجرد إحساس بعيدًا تحققه، بحاجة إلى تجسيد في واقعة ما تمنحه بعدًا وجوديًا؛ لأنها نوع من الوعي، الذي لا يستدعي أي مقارنة، ولا أي سيرورة. ذلك أنَّ تغيّر لون البشرة، واحمرار العينين لا يعني شيئًا في انفصاله عن الحالة الإنسانية التي تجسده وتمنحه قياسه ومجالاته، لذلك تبقى العلامة مجرد احتمال لا أقل ولا أكثر حتى تنتقل إلى الوجود الفعلي ولا يمكن أن يكون تغير لون البشرة وملامحها، واحمرار العينين سوى حاجز عرضي ننتقل من خلاله إلى شيء آخر استنادًا إلى قاعدة عامة، وهذا هو موضوع العلامة (Object) .

وإذا ما وضعنا العلامة الإشارية في سياقها التأويلي الدينامي، الذي يوفره لنا الممثل، فإنَّ هذا التغير في ملامح الوجه واحمرار العينين يمكن أن يؤول بتأويلات مختلفة من نحو الغضب، والتحذير، والتخويف، والمرض، والنعاس، والإرهاق. إنَّ هذه العلامة

غير الإرادية تعمل بحسب السياق الاجتماعي والثقافي في المجتمع اللغوي لتدل على الدلالات المتفق عليها اجتماعيًا وثقافيًا.

لقد أتت العلامات الإشارية من جانب الرسول - صلى الله عليه وسلم - ؛ لتعضِّد العلامات اللسانية، وتوجّه رسالة للمتلقي بأنَّ طلبه هذا غير جائز. وجاء المورفيم (ثمَّ) بوصفه علامة لسانية تتكون من الدال (الصورة الأكوستيكية)، أي الأثر النفسي للتابع الأصوات (ث،م،م)، والمدلول (المفهوم) (الترتيب والتراخي)؛ لتدلَّ على أنَّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - سكت بعض الوقت بعد طلب الرجل؛ فهذا الصمت هو الحيز المليء بالإمكانات الفاصلة بين العلامة الإشارية والعلامات اللسانية، فهو الذي جعل من العلامات الإشارية أمرًا ذا معنى ودلالة مفهومين؛ فالسكون في جسده – صلى الله عليه وسلم - حالة جسدية مليئة بالدلالات. وبهذا يكون الصوت المادي للعلامة اللسانية (ثمَّ) علامة فردية، والصورة الأكوستيكية لها علامة وصفية (نفسية)، والعلامة الشمولية (الدال/المدلول) هي علامة عرفية (قانون).

أمَّا قوله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْأَلُنِي مَا لاَ يَصْلُحُ لِي وَلاَ لَهُ، فَإِنْ مَنَعْتُهُ كَرِهْتُ الْمَنْعَ، وَإِنْ أَعْطَيْتُهُ أَعْطَيْتُهُ مَا لاَ يَصْلُحُ لِي وَلاَ لَهُ " فهي علامة لسانية متمثلة في أصوات لغوية منتظمة في تركيب نحوي خبري إنكاري، لأنَّ (الدال) أُكِّد بمؤكدين (إنَّ + اللام)؛ لينكر على الرجل طلبه وينصحه ويرشده بأنَّ هذا لا يصلح للرسول - عليه الصلاة والسلام - فكيف يصلح لغيره؟. ثمَّ إنَّ الرسول - عليه الصلاة والسلام – قدَّم الضمير المجرور (لي) الذي يعود عليه، على الضمير(له) العائد على الرجل؛ لتقوية الحكم وتقريره، وليدلَّ - أيضًا - على أهمية هذا الأمر وعدم مشروعيته، والضميران هنا علامتان عرفيتان وقرينتان لما يشيران إليه، وهما عاملان مهمان في تكوين بنية الخطاب ولا يتحدد مرجعهما إلا في سياقهما؛ لأنهما خاليان من أي معنى في ذاتهما (المدلول).

فبعد أن رأى الرجل العلامات الإشارية التي ظهرت على وجه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعلى عينيه، وبعد أن استمع لملفوظاته، وبعد تطور كافٍ لفكره، مع الأخذ بعين الاعتبار لهوية المتكلم (الرسول عليه الصلاة والسلام) والوضعية التي هو عليها

- لأنَّ حالاته صلى الله عليه وسلم دومًا كلها سرور وبشر - استحضر مخزونه الثقافي والاجتماعي، وأدرك من خلال العرف والتواضع ومن خلال السياق أنَّ التأويل النهائي الذي ولَّدته العلامة في ذهنه هو غضب النبي عليه أفضل الصلاة والسلام.

وبهذا يكون حدّ القضية قد اكتمل، وتكون العلامات الإشارية واللسانية قد تجسدت في موضوع فعلي ألا وهو الغضب، وأصبحت قابلة للحكم؛ أي أنها تقبل الصدق أو الكذب، فهي مركب تام "مركب يصح السكوت عنه". فالعلامة في المستوى التأويلي الثاني علامة فردية (Sin sign) قرينية (Index) تصديقية (Dicent) .

وإذا ما نظرنا إلى علاقة العلامة بموضوعها، وجدنا أنَّ الموضوع هو الذي عيَّن العلامة، أي أنَّ ثمة علاقة عِلّيّة بينهما، يكون فيها الموضوع علّة، وتكون العلامة معلولًا. ويسمّى هذا المستوى عند بورس (الثانوية) (Secondness)التي هي خروج من الإمكان إلى التحقق، فالإحساس بتغير ملامح الوجه واحمرار العينين في الأولية لم يكن سوى إمكانات عامة، أصبحت في الثانوية وقائع فعلية من خلال المؤوَّل الذي هو توسط إلزامي في (الثالثية) (Thirdness).

لقد شكَّل تغير ملامح وجه الرسول عليه الصلاة والسلام، واحمرار عينيه من خلال العرف والتواضع (علامة عرفية) (Legi sign) رمزًا لدى المؤوِّل (Interpretant) وهو (الرجل الذي طلب زيادة على أجره)، الذي استدلَّ بتمثيله وبما يشير إليه، بحكم خبرته وتجربته، على أنه ليس مرضًا ولا تعبًا بل رمزًا للغضب (علامة رمزية) (Symbol)، استنادًا إلى الحجة، التي هي بمثابة مجموعة عامة من الأفكار، خاضعة لقواعد عامة متفق عليها بحكم استخدامها، وهي دائمة الصدق (علامة حجية) (Argument). وبهذا تكون العلامة في المستوى التأويلي الثالث علامة عرفية رمزية حجية.

استجاب المتلقي (الرجل) للرسالة التي أرسلها الباث (الرسول عليه الصلاة والسلام) مباشرة بدليل العلامة اللسانية أداة الربط (الفاء) (الدال) في كلمة (فقال)؛ لتدلَّ على (الترتيب والتعقيب) (المدلول) وقام بتأويلها تأويلًا نهائيًا بالاستناد إلى تضافر العلامات اللسانية وغير اللسانية وهي (عدم الأخذ من مال المسلمين إلا بالحق)، وفهم القصد منها؛

مما جعله يندم على طلبه هذا بقوله: "يَا رَسُولَ اللَّهِ لاَ أَسْأَلُكَ مِنْهَا شَيْئًا أَبَدًا". فالنداء الذي استخدمه المتلقي هو نوع من الدوال التي تشير إلى نوع العلاقة الاجتماعية الحميمية بين المخاطب والمتكلم؛ فالرجل نادى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بلقب (رسول الله)؛ تبجيلًا وتقديرًا. إذ يعد الفعل التأثيري الناتج عن ملفوظ الرجل علامة لسانية تتكون من الأثر النفسي للتتابع أصوات الملفوظ (الدال)، ومفهوم الملفوظ (الندم والاستجابة لأوامر النبي عليه الصلاة والسلام) (المدلول). وبهذا يكون الغضب الذي استولى على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - هو من قبيل الغضب المحمود؛ لأنه غضب لدين الله من أجل الحفاظ على مال صدقة المسلمين، ومسنود بوحي يترتب عليه تشريع من نهي أو أمر. ويعدّ ردّ الرجل بمثابة رسالة راجعة (الفعل الراجع)، وبالتالي أصبح مرسلًا، وبالتبادل اللانهائي لهذا الشكل من العلاقة يتحقق التواصل. وبهذا تكتمل عناصر العلامة، فتصبح قائمة واضحة كاملة، قوامها ممثل يحيل على موضوع عبر مؤوَّل. وهذه الحركة تشكل في نظرية بورس ما يطلق عليه السيميوزيس (Semiosis)، أي النشاط الترميزي الذي يقود إلى إنتاج الدلالة وتداولها.

إنَّ العلامات اللسانية وغير اللسانية التي وردت في هذا الحديث هي خطاب، موجه إلى الناس كافة مهما علا شأنهم أو قلَّ؛ لإفهامهم وإقناعهم بأنَّه لا يجوز الأخذ من مال المسلمين إلا بالحق، وبما يرضي الله، وإنَّ الإنسان المؤتمن على هذا المال يجب أن يتقي الله فيه وأن يحافظ عليه. وبهذا يكون الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد وضع قانونًا، وأصدر تشريعًا، يجب على الناس الامتثال له.

2-5- أنموذج الإشارة باليد:

وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، أَنَّهُ بَلَغَهُ : أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : " **أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ، إِذَا اتَّقَى ". وَأَشَارَ بِإِصْبُعَيْهِ الْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ**(46).

أخبرنا الرسول - صلى الله عليه وسلم – بجملة اسمية خبرية تأكيدية عن منزلة كافل اليتيم في الآخرة للدلالة على ثبوت الحالة؛ إذ جعل حاله كحاله عليه الصلاة والسلام مشبّهًا، فبدأ الجملة بالمسند إليه (أنا) (الموجه الانتباهي) (علامة عرفية قرينية) الذي ينماز من الناحية السيميائية بعلاقة ارتباطية عضوية مع الذات المتكلمة الفاعلة المنتجة للفعل، مشكّلًا بنية كبرى تتألف من محورين أساسيين في العملية التخاطبية أنا / الذات المتكلمة، وكافل اليتيم الذي يأتي في درجة تراتبية أقل من الذات مصدر الخطاب. ويبقى ضمير المتكلم في اللغة العربية أعلى من بقية الضمائر الأخرى شكلًا ومحتوى، فطاقته كامنة في ذات الرسول – صلى الله عليه وسلم – صاحب الأمر والنهي وإرادة الفعل.

والمكوّن (كافل) اسم فاعل مشتق من فعل متعدّ (كفل) ومعموله مجرور بالإضافة (المفعول)؛ ليدلّ على الزمن الماضي[47] ويصحّ أن يدلّ على الزمن الحاضر، وهذا يعني أنَّ شرف معية الرسول – صلى الله عليه وسلم – تشمل الذين كفلوا الأيتام والذين سيكفلونهم حتى تقوم الساعة، وهذا علامة على ثبوت حالة كفالة اليتيم واستمرارها، فلم تأت الصياغة بالفعل الصريح (كفل) مثلًا الذي يحتمل أن تكون كفالة اليتيم طارئة في زمن محدد ولمرة واحدة. فدلالة التركيب هنا توجه التأويل إلى دوام الأثر النفسي واستمراره. وهذا اليتيم قد يكون قريبًا (المفهوم) بدلالة استخدام العلامة الوصفية (له) (الصورة الأكوستيكية) التي هي ظرف يصحّ أن تكون حالًا من المضاف إليه لكون المضاف عاملًا في المضاف إليه قبل الإضافة، فهي نظير {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً}[48]، وجاز أن تكون صفة لليتيم لأنَّ المحلّى بأل الجنسية كالنكرة من جهة المعنى، وقد يكون أجنبيًّا (المفهوم) (أو لغيره) (الصورة الأكوستيكية)، وأتى المكوّن (اليتيم) معرّفًا بالمورفيم (أل) العلامة الوصفية التي عملت على ضبطه وتعيينه، وتوجيهه إلى منطقة زمكانية معيّنة (العلامة الفردية).

لقد ربط بين الملفوظين (أنا + كافل اليتيم) بمورفيم الواو بوصفه علامة لسانية وصفية نفسية (الدال)؛ لتدلّ على المعية أو المصاحبة (المدلول)؛ للإشارة إلى جنس الجزاء، وجذب لانتباه المخاطب كي يسعد بهذه النعمة المثلى، ثُمَّ التعجيل بأصل المجازاة وهو الوجود بالجنة، لتعجيل المسرّة. ولكن هذه المعية مشروطة بالتقوى، ونلاحظ هنا أثر

استخدام اسم الشرط (إذا) للدلالة على وجوب تحقق التقوى؛ لأنَّ إذا لا تكون غالبًا إلّا في الأمور التي تتحقق وقوعها، كما نصَّ على ذلك معظم النحاة، وتعدُّ جملة الشرط (اتّقى) علامة تعليلية قائمة على مبدأ المجاورة، وتسمى قرينة؛ لأنها على أساس السببية أو قانون العليّة.

أمّا المسند (المحمول) فقد جاء علامة فردية قرينية باسم الإشارة (كهاتين) (المشبه به) المفتتح بحرف التشبيه ليؤكّد ويوضح منزلة كافل اليتيم مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في الجنة بالتمثيل والتشبيه؛ لإظهار الصورة الذهنية عنده عليه الصلاة والسلام الذي لا يرى التعبير عنها كافيًا في تصويرها في صورة أشدّ وضوحًا. فأتت الإشارة لتكون زيادة تفسير للخيال، ونقلًا للصورة من الخيال الذهني إلى الرؤية الحسّية قدر الإمكان، ولزيادة التبيين وإدخال المعاني في ذهن السامع.

لقد أتت العلامة الإشارية مكمّلة ومفسّرة للعلامات اللسانية، فالإشارة بالإصبعين الوسطى والتي تلي الإبهام (الممثل) بالنظر إلى علاقتها مع ذاتها هي علامة كيفية أولى بدون وجود، فامتداد الوسطى والتي تلي الإبهام مع قبض غيرهما من الأصابع هي علامة أيقونية للموضوع الذي تعيّنه، إذ لا يمكنها أن تقوم علائقيًا إلا بالمشابهة والمطابقة. وهي خبرية؛ إذ تشكّل بالنسبة إلى مؤولها علامة إمكان كيفية أي إنّه مدرك باعتباره يمثّل هذا النوع أو ذاك من الموضوع الممكن، فالخبر علامة تعطينا معلومة فقط، ولكنها لا تؤوّل بوصفها تعطينا هذه المعلومة.

فالعلامة في المستوى التأويلي الأول (التأويل المباشر/ الانفعالي) مجرد إحساس غير متحقق، وقضية متروك مكان حدّ موضوعها فارغًا، وهي لا تحتمل الصدق أو الكذب (؟ X الإشارة). فهي كيفية أيقونية خبرية.

إذا كان الممثل في المستوى الأول مجرد إحساس أوّلي غير موجود، فإنَّه في الثاني أصبح موجودًا بوصفه موضوعًا؛ إذ أصبح شيئًا أو حدثًا مشكِّلًا للعلامة، إنَّه حدث فردي، لا يشير إلى شيء خارج ذاته وليس له معنى في ذاته (علامة فردية) متعيّن في موضوع، أي متأثر به، أو بينهما علاقة علّية، يكون الموضوع علة والممثل معلولًا (علامة قرينية).

وإذا ما وضعنا العلامة الإشارية في سياقها التأويلي الدينامي / الطاقوي الذي يوفّره لنا الممثل، فإنَّ الإشارة بالوسطى والتي تلي الإبهام تحتمل تأويلات عدّة حسب المعاني المتوارية عن الأذهان، التي تأتي من البيئة الثقافية والاجتماعية، كالنصر، أو المساواة في المكان والدرجة، أو القرب. لكن هذه التأويلات قد تكون صحيحة، وقد تكون خاطئة، (المساواة، القرب، النصرx العلامة الإشارية) وبهذا تكون العلامة في المستوى الثاني من التأويل فردية قرينية تصديقية.

إنَّ صدق القضية وكذبها يقوم على أساس علاقتها بالتجربة، أي هل الذّهن قادر على إدراك الترابط القائم بين الكيفية وبين الموضوع الفعلي الذي تتحقق فيه؟. فاستنادًا إلى العلامات اللسانية والعلامات غير اللسانية، واستنادًا إلى السياق الثقافي والاجتماعي، وبعد تطور كافٍ للفكر، فإنَّ الواقع الذي ولّدته العلامة هو دلالة القرب (الموضوع). فهذا المؤوَّل هو الحالة العادية، التي عطّلت نشاط السيرورة التأويلية، أي الحالة التي تعودنا أن نحيل بها نمط ممثل ما إلى نمط موضوع ما والتي نكتسبها بالتجربة. فدرجة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكافل اليتيم تكون قدر تفاوت ما بين الوسطى والتي تلي الإبهام؛ إذ إنَّ كافل اليتيم مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الجنة وبحضرته، غير أنَّ كل واحد منهما على درجته فيها، إذ لا يبلغ درجة الأنبياء غيرهم ولا يبلغ درجة نبينا أحد من الأنبياء، فيُفهم من القرانة المعية والحضور، ومن تفاوت ما بينهما اختصاص كل منهما بدرجته ومنزلته. وبهذا تمَّ الاستقرار على مدلول بعينه (القرب)، وأصبحت العلامة متجسّدة في موضوعها، أي في جسم يخصّصها.

وإذا ما تمَّ النظر إلى العلامة الإشارية - من منظور استعمالها في العرف والتواضع وفي الممارسات السيميائية - اتَّضح شيوع استخدامها للدلالة على التقريب بين شيئين (عرفية). وهي ترمز إلى القرب الروحي الذي يجمع بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبين هذا الإنسان الرحيم، وإلى حبّ النبي المكافئ لكافلين الأيتام (رمزية). فالعلامة في هذا المستوى دائمة الصدق (حجية) (القرب x العلامة الإشارية). وبهذا تكون العلامة في المستوى التأويلي الثالث (التأويل النهائي / المنطقي) علامة عرفية رمزية حجية.

لقد أراد الرسول - صلى الله عليه وسلم - من تضافر العلامات اللسانية والعلامة الإشارية التمثيل بمدى اقتراب كافل اليتيم منه في الجنة؛ ليشوّقنا ويحثّنا على كفالته، وأن نتقي الله فيما يتعلق بحقه؛ لننال شرف القرب منه في الجنة.

5-3- أنموذج الإشارة بالعين:

حَدَّثَنِي يَحْيَى، عَنْ مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -، فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ تَسْتَفْتِيهِ، **فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ**، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ فِي الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ ؟ قَالَ: " نَعَمْ ". وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ(49).

استجاب الرسول - صلى الله عليه وسلم- لمثير إدامة النظر المتبادل بين رديفه الفضل بن عباس والمرأة التي أتت تستفتيه من خثعم، استجابة عضوية حركية عندما قام بصرف وجه الفضل عنها؛ ليعبّر عن رفضه لهذا التصرف، مما أدى إلى إرباكٍ في القناة التواصلية بينهما، وانقطاع عملية التواصل المستندة إلى سنن مشترك بين الطرفين.

إذا ما نظرنا إلى علاقة العلامة مع ذاتها فإننا نجد بأنَّها مجرد انفعال، إذ إنَّ هذا النظر هو أمر جبلّي، طبع عليه البشر، الرجال فيهم ميل للنساء والنساء فيهن ميل للرجال، ولا تقدم لنا إلَّا معلومات أولية خاصة بالموضوع، الذي يبدو أنَّه مماثل لها في بعض خصائصها، فهي أولى غير موجودة، ودالة قضية متروك مكان موضوعها فارغًا لا معنى لها في مفردها، ليست صادقة أو كاذبة. فهي كيفية أيقونية خبرية.

إنَّ العلامة الإشارية (إدامة النظر) هي ممثل ينتظر الارتباط بموضوع يعيّنه، يكون بينهما ارتباط واقعي؛ إذ إنَّ العلامة تفقد طابعها كعلامة إذا لم يوجد الموضوع الذي تكون علامة له، ولكنها لا تفقد ذلك الطابع إذا لم يوجد الذهن الذي يؤوّلها. فالعلامة تشير إلى موضوعها نتيجة وجود ترابط دينامي بينها وبينه من جهة، وبين حواس الشخص المؤوّل من جهة أخرى. فمدة النظر كانت طويلة ولمرات عديدة بدليل جملة "ينظر" التي أتت على

لسان الرواة التي تفيد استمرار الفعل كما هو معلوم في لغة العرب؛ فالعلامة هي التي وجّهت انتباه الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى موضوعها.

وإذا ما وضعنا العلامة الإشارية في سياقها التأويلي الدينامي، فإنَّ إدامة النظر المتبادل بين الطرفين شكَّل قضية في صورة قرينة تشير إلى واقعة الترابط بين الموضوع والمحمول، وإنَّ صدق هذه القضية أو كذبها يعتمد على قدرة الذهن أو عدم قدرته على إدراك ذلك الترابط بطريقة تجريبية. يمكن لنا أن نؤوّل هذه العلامة بتأويلات دينامية كثيرة: كالإعجاب، الدهشة، الارتباك، الاستهزاء، وغيرها. فالعلامة في (الثانوية) هي فردية قرينية تصديقية.

يأتي السياق هنا ضابطًا يتوقف عنده جموح التأويلات اللانهائية للعلامة، حسب قول بورس، أو اللوازم المتعددة على حد قول السكاكي، فهذا المؤوَّل ينحدّ دوره بالضوابط السياقية والعرف والتواضع، الذي يتغيّب لصالح المؤوّل النهائي المنطقي الذي يجعلها تستقر على دلالة معينة.

لقد قام الرسول - صلى الله عليه وسلم - بتأويل هذه العلامة تأويلًا نهائيًا وهو أنَّ النظر كان بدافع الإعجاب؛ لأنَّ الفضل كان وسيمًا، والمرأة مع الرجال كالرجل مع النساء، والنساء تسلب عقول الرجال، والمرأة كذلك يتعلق قلبها بالجميل أكثر، فهي تنظر إليه وينظر إليها، فصرف وجه الفضل؛ لأنّه خشي الفتنة عليها وخاف دخول الشيطان بينهما؛ إذ أنكره عليهما؛ لأنَّ الأمر الرباني جاء للرجال والنساء على حد سواء بغض النظر،{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ }(50)، {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ}(51). فقام الرسول - صلى الله عليه وسلم - بتغيير هذا التصرف بيده بصرف وجه الفضل لأنه به يتم الإنكار؛ إذ أصبح النظر إلى النساء الأجنبيات عند خوف الفتنة بالعرف الديني منكرًا، ورمزًا للفتنة. وبهذا تكون العلامة في (الثالثية) دائمة الصدق، فهي عرفية رمزية حجية.

تقدم أسلوب النداء ملفوظ المرأة عندما استفتت الرسول؛ حيث جاء المنادى بلفظ (رسول الله) لتعظيم المدعو وتشريفه والتنويه بمحله وبفضله، وفيه – أيضًا – دلالة

على أفضليته على جميع الرسل، ثُمَّ أكّدت بأنَّ وضمير المتكلم بأنَّ أباها عجوز لا يستطيع الحج، فكلمة "شيخ" علامة تحتمل تأويلات دينامية متعددة: كواسع العلم، وكبير السن، وكثير المال، وعلى من يفخّم. لذلك استدركت وأتت بكلمة كبير كمرادف لكلمة شيخ لتوصل المعنى الحقيقي لهذه الكلمة وتزيل اللبس. ثُمَّ أتى الاستفهام " أفحجّ عنه؟" ولم تقل " أفجعل حجي له؟" وهذا يدلّ على أنّها ملتبسة بحجة أخرى، وتريد أن تحج عنه في مرات لاحقة. فقال عليه الصلاة والسلام "نعم"، وهذا جواب يغني عن إعادة السؤال، أي إنه يغني عن قول نعم حجي.

إنَّنا نلاحظ أنَّ الفعل الكلامي لملفوظ المرأة اشتمل على فعل القول المتمثّل في ملفوظها، والفعل الإنجازي المتمثل بموافقته عليه الصلاة والسلام لها على طلبها، والفعل التأثيري، أي الأثر الذي يحدثه في السامع وهو بر الوالدين وتقديم كل ما يناسبهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة.

شكّل هذا الملفوظ - حسب رأي دي سوسير - علامة لسانية شمولية اشتملت على الدال والمدلول (علامة عرفية) التي تكوّنت من الصورة الأكوستيكية (سؤال المرأة)، والمفهوم (إجابة النبي).

أراد الرسول - صلى الله عليه وسلم – من هذا التواصل إرسال رسائل أخلاقية ودينية وهي غض النظر خشية الفتنة، ومنها وجوب إزالة المنكر باليد مع القدرة، وجواز حج المرأة عن الرجل، وبر الوالدين، وجواز الإرداف على الدابة بشرط ألّا يشق هذا عليها، والتواضع؛ إذ وجه عليه الصلاة والسلام رسالة بفعله وليس بقوله عندما حجّ على جمل رثّ غير مزخرف، وأردف مولى من الموالي وهو أسامة بن زيد من عرفة إلى المزدلفة، وأردف الفضل بن عباس من المزدلفة إلى منى يوم العيد، وهو من أصغر آل البيت.

5-4- أنموذج الإشارة بالرأس:

حَدَّثَنِي يَحْيَى، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، أَنَّهَا قَالَتْ : أَتَيْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - حِينَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ يُصَلُّون، وَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ تُصَلِّي، فَقُلْتُ : مَا لِلنَّاسِ

؟ فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَتْ : سُبْحَانَ اللَّهِ، فَقُلْتُ : آيَةٌ ؟ **فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا أَنْ نَعَمْ**، قَالَتْ : فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلاَّنِي الْغَشْيُ، **وَجَعَلْتُ أَصُبُّ فَوْقَ رَأْسِي الْمَاءَ**، فَحَمِدَ اللَّهَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ : " مَا مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إِلاَّ قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا، حَتَّى الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ، أَوْ قَرِيبًا، مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ - لاَ أَدْرِي أَيَّتَهُمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ - يُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيُقَالُ لَهُ : مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، أَوِ الْمُوقِنُ - لاَ أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ : هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا، فَيُقَالُ لَهُ : نَمْ صَالِحًا، قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُؤْمِنًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ، أَوِ الْمُرْتَابُ - لاَ أَدْرِي أَيَّتَهُمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ : لاَ أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ "(52).

أرسلت أسماء بنت أبي بكر رسالة إلى عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي في مقام تواصلي ديني (الصلاة) من خلال العلامة اللسانية المتمثلة في أسلوب الاستفهام "ما للناس؟" الذي يدلّ على استغرابها، التي ربطت فيه السياق المقامي (الصلاة) بالسياق الزماني (هذا الوقت ليس وقت من أوقات الصلوات المفروضة)، الأمر الذي جعلها لا تنتظر عائشة حتى تنتهي من صلاتها كي تسألها. لقد استجابت عائشة – رضي الله عنها – بدورها للمثير الصادر عن أسماء بوساطة نمط من السلوك (العلامة الإشارية) " الإشارة باليد إلى السماء" و (العلامة اللسانية) "سبحان الله" (الممثل). إنَّ إجابة عائشة بالإشارة باليد، واللسانية "سبحان الله" دليل على استجازتها سؤال المصلي، ومخاطبته بالأمر اليسير، وأنَّه مباح له الجواب بالإشارة حسب ما صنعت عائشة، أو التسبيح. وهذا يدل – أيضًا – على أنَّ حكم النساء كان عندهم كحكم الرجال في التسبيح دون التصفيق(53).

يُنظر إلى هذه العلامة في علاقتها مع ذاتها على أنَّها كيفية بوصفها تشكِّل العلامة، وعلى أنَّها أيقونة في علاقة الموضوع معها؛ نظرًا للتشابه الحاصل بينهما. وهذه العلامة لا يمكن تأويلها في المستوى الأول من التأويل إلا بما يسمح به أوليتها؛ لأنَّها علامة بسيطة أو معوَّضة، ليست صادقة أو كاذبة. لذا، فهي كيفية أيقونية خبرية.

في المستوى الثاني من التأويل أصبحت العلامة الإشارية واللسانية في علاقتها مع موضوعها موجودة، وتربطهما علاقة المجاورة، وأصبحت قضية قابلة لأن ينظر فيها كونها علامة قابلة لأن تثبت أو تُنفى؛ لذا يمكن لذهن المتلقي أن يأوّلها دينامياً، كطاعة الله تعالى، أو كسوف الشمس، أو أمر من الله، أو استعداد لأمر ما. فالعلامة في هذا المستوى فردية قرينية تصديقية.

لقد حدثت هذه التأويلات الدينامية في ذهن المتلقي (أسماء) في لحظات قصيرة وتنامت الأمر الذي جعلها تتأكّد من المؤوّل النهائي الذي تحتفظ فيه في ذهنها حينما قالت: "آية؟". عندئذ أدركت التأويل النهائي للعلامة الإشارية واللسانية (كسوف الشمس)، مما أدى بها إلى القيام للصلاة ؛ إذ إنَّ الإشارة إلى السماء لا تعني السماء المعروفة، إنَّما هناك شيء حدث جعل الناس ومن ضمنهم عائشة يصلّون، وبحكم العرف والممارسات الدينية والثقافية فإنَّ الكسوف والخسوف آيتان والواجب علينا القيام بالصلاة والتوجه بالدعاء إلى الله تعالى كي يحفظنا. ولذا، أصبحت العلامة في المستوى التأويلي الثالث - دائمة الصدق - عرفية رمزية حجية.

إنَّ العلامة اللسانية الوصفية النفسية الأخرى التي أرسلتها أسماء مرة ثانية إلى عائشة "آية" (الصورة الأكوستيكية)، ومدلولها "كسوف الشمس" (المفهوم) خبر لمبتدأ مضمر، أي هذه آية، ويجوز النصب على معنى أرى آية، ولكن بحكم إجابة عائشة فهي تحتمل أن تكون استفهامية، أي هل هذه آية؟ وذلك عن طريق تنغيم الكلمة، برفع الصوت بنطقها، مما أدى إلى اختلاف مقتضى الحال، وتغيير معنى الجملة من الاستفهام إلى التأكيد.

ولّدت استجابة عائشة لرسالة أسماء علامة إشارية جديدة كمثل " الإشارة بالرأس إلى أسفل" وجاءت هذه العلامة بالملفوظ "فأشارت برأسها"، وبعدها أتت العلامة اللسانية "أن نعم"؛ إذ (أنْ) حرف تفسير ويروى بالياء يفسر ما قبله، ويعبّر عن المعنى الذي قصد به كقوله تعالى: "أنْ امشوا"، ولا تقع إلّا بعد كلام، معناه كمعنى القول، لأنَّ إشارتها برأسها بمنزلة قولها نعم (54).

وإذا ما وضعنا العلامة الإشارية في سيرورتها التأويلية ، فالإشارة بالرأس بمعزل عن سياقها فهي غير موجودة فهي مازالت مجرد إحساس أو انفعال ، يمكن اعتبارها أيقونة لشيء معين مادامت تتشابه مع هذا الشيء ، ومادامت تستخدم كعلامة لهذا الشيء ، وهي علامة إمكانكي فية بالنسبة إلى مؤوَّلها ، أي أنَّها مدركة
باعتبارها تمثّل هذا النوع أو ذا كمن الموضوع الممكن،وهي قضية ليست كاملة ، متروكمكا نحدها فارغًا. لذا، فهي على مستوى التأويلا لم ياشر/ الانفعالي كيفية أيقونية خبرية.

أمَّا على المستوى التأويلي الديناميي / الطاقوي، فإنَّ العلامة أصبحت موجودة ترتبط حسب علاقة المجاورة ترابطًا ديناميًّا مع موضوعها من جهة، ومع مؤوَّلها من جهة أخرى، وهي أصبحت قضية مكتملة يمكن اختبار صدقها أو كذبها، ويمكن تأويلها بمجموعة من التأويلات الدينامية، كدلالة "نعم"، أو دلالة "لا" لأنَّ الإشارة بالرأس إلى أسفل تختلف من ثقافة إلى أخرى، فهي تعني الموافقة والقبول في مجتمع ما، وتعني كذلك الرفض في مجتمع آخر. وبهذا، تكون العلامة في الثانوية فردية قرينية تصديقية.

وفي المستوى التأويلي الثالث النهائي / المنطقي، يمكن القول إنَّ الإشارة بالرأس إلى أسفل هي إشارة محدد مفهومها ضمن الممارسات الاجتماعية والثقافية العربية، فأسماء بحكم التجربة، استطاعت أن تصل إلى تأويل نهائي لموضوع العلامة، لذا، أصبحت هذه الإشارة رمزًا، وعلامة معوّضة للعلامة اللسانية "نعم". فالعلامة في الثالثية أضحت علامة كاملة دائمة الصدق ممثل يحيل على موضوع عبر مؤوَّل، فهي عرفية رمزية حجية.

استجابت أسماء لرسالة عائشة، فقامت في الصلاة حتى تجلّاها الغَشْي، أي إنَّها قامت حتى غشي عليها أو كاد أن يغشى عليها من طول القيام. فالغشي علامة لسانية تدلّ على طول القيام في صلاة الكسوف. فجعلت تصبّ الماء على رأسها.

إنَّ العلامة الإشارية "فجعلت أصبُّ فوق رأسي الماء" تحتمل تأويلات مباشرة وديناميةونهائية. فهذه علامة كيفية ليس لها معنى في ذاتها، فهي انفعال، فصبُّ الماء على الرأس هو علامة أيقونية للموضوع الذي تشبهه، وهي قضية متروك مكان حدّها فارغًا، ولا يمكن تأويلها إلا على المستوى الأول (التأويل المباشر)، أي معنى العلامة المباشر، وهو أنَّ

أسماء قامت بوضع الماء على رأسها. لذا، فهي كيفية أيقونية خبرية.

وإذا ما وضعنا العلامة في سياقها التأويلي الديناميي، فإننا نجد أنَّ العلامة يمكن لنا أن نؤوّلها بمجموعة من التأويلات الدينامية، من نحو غسل شعرها، أو إزالة شيء ما قد علق برأسها، أو بسبب اشتداد الحرارة، أو للاستيقاظ، فهذه التأويلات تكون في ذهن المتلقي للعلامة ولكنه يبدأ بإسقاطها من ذهنه واحدة تلو الأخرى حتى يستقر على تأويل نهائي واحد، فالعلامة في هذا المستوى فردية قرينية تصديقية.

إنَّ أسماء هي نفسها التي قامت بصبّ الماء على رأسها، فتوليها الصبّ يدلّ على أنّ حواسها كانت مدركة، وذلك لا ينقض الوضوء، فأسماء عندما شعرت بأنه سوف يُغمى عليها قامت بهذه العملية، فالعلاقة بين العلامة (الممثل) "صبّ الماء على الرأس" وبين موضوعها "الغشي" علاقة علّية، أصبح فيها الممثل معلولًا والموضوع علة، أي علاقة سبب بنتيجة. وبحكم التجربة والعرف والممارسات الاجتماعية والثقافية أصبحت العلامة الإشارية رمزًا للاستيقاظ من الغشي وإزالة الحر من رأسها الذي كان سببه طول الإقامة في الصلاة في وقت شديد الحرارة. وبهذا، تكون العلامة عرفية رمزية حجية.

أمّا قولها: " فَحَمِدَ اللَّهَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَثْنَى عَلَيْهِ " فهو علامة لسانية؛ إذ عطف الثناء على الحمد فهو عطف عام على خاص، ومفهومها يدلّ على أنَّ الرسول - صلى الله عليه وسلم –كان يستفتح كلامه بالحمد والثناء على الله، ووصف بعض الرواة كلامه بأنّه خطبة.

أمّا قوله صلى الله عليه وسلم: " مَا مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إِلاَّ قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا، حَتَّى الْجَنَّةُ وَالنَّارُ" فهو علامة لسانية تأكيدية أو كّدت بأسلوب الحصر، فالجنة مبتدأ خبرها محذوف تقديره "مرئية"، والنار عطف عليه على اعتبار أنّ "حتى" ابتدائية، والنصب على أنّها عاطفة على الضمير المنصوب في رأيته، والجر على أنّها جارة أو عاطفة على المجرور السابق "شيء"، وإن لزم عليه زيادة من مع المعرفة، والصحيح منعه لأنه يغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع، ولأنّ المقدّر ليس كالملفوظ به، ومفاد الإغياء أنّه لم يرهما قبل بالرغم من رؤيتهما في الإسراء والمعراج، وهو قبل الكسوف بزمان. أمّا المعيّن اسم

الإشارة "هذا" فهو مؤشّر سياقي أحال على مقام زمكاني معيّن، والمراد هنا في الأرض بدليل قوله في مقامي أو باختلاف الرؤية(55). وفي ذلك وعظ للناس. وذَكَر الجنة والنار لأنّها غاية مصير كل إنسان.

وقوله: " وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ، أَوْ قَرِيبًا، مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ" علامة مؤكدة بـ "اللام الموطئة للقسم ولقد وأنَّ" لتدلّ على أنَّ هناك اختبارًا صعبًا، يظهر العمل، ويعلن المآل، إمّا إلى جنة وإمّا إلى نار، وشبّهها بفتنة الدجال لصعوبتها وعظم المحنة فيها وقلة الثبات معها.

بثَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - رسالة من خلال تضافر العلامات اللسانية وغير اللسانية ، تضمّنت مجموعة من القيم والتشريعات الدينية، في هذا الحديث، مثل: جواز سؤال المصلي في أثناء الصلاة، وجواز إجابته بالعلامات الإشارية، أو العلامة اللسانية "سبحان الله"؛ وكسوف الشمس وخسوف القمر آيتان من آيات الله، سُنَّ لنا عند حدوثها الصلاة والدعاء والابتهال إلى الله كي يحفظنا، وينهي هذا الحدث بسلام، لأنَّ ذلك عارض فلكي غير طبيعي، قد لا ينتهي بسلام؛ وأخذ العبرة والعظة من خلال تذكّر ضيق القبر وفتنته "وكفى بالموت واعظًا"، وأنَّ هناك جنة ونار حامية وقودها الناس والحجارة.

5-5- أنموذج الإشارة بالرجل:

وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، وَصَلَّى إِلَى جَنْبِهِ رَجُلٌ، فَلَمَّا جَلَسَ الرَّجُلُ فِي أَرْبَعٍ **تَرَبَّعَ وَثَنَى رِجْلَيْهِ**، فَلَمَّا انْصَرَفَ عَبْدُ اللَّهِ عَابَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ : فَإِنَّكَ تَفْعَلُ ذَلِكَ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : فَإِنِّي أَشْتَكِي(56).

عاب عبد الله بن عمر على الرجل الذي صلّى بجنبه عندما حاكاه في تصرفه في أثناء الصلاة عندما تربّع وثنى رجليه. فعلامة التربع في انفصالها عن سياقها الزمكاني (الصلاة) هي هيئة يتخذها الرجال والنساء على حدّ سواء في أثناء الجلوس، فهي كلية لا تتضمن شيئًا آخر غير نفسها، ولا يمكنها أن تقوم علائقيًا إلا بالمشابهة والمطابقة، حيث يضعها الإمكان الخاص موضع الاحتمال المجرد. لذا، فهي في (الأولية) كيفية أيقونية خبرية.

إذا ما نظرنا إلى علاقة علامة التربّع مع موضوعها، فإنّنا نجد بأنها فردية كونها نظامًا للتفرّد، وللحدث الواقع ضمن سياق خاص، وتنسج علاقة واقعية مع موضوعها كونها لا تعمل على تمثيل خصائصها فحسب بل تتبنى تمثّل وجودها الواقعي، وترتبط ديناميًّا مع الموضوع من جهة، ومع المؤوَّل من جهة أخرى، لهذا، نجد أنَّ علامة التربّع عند وضعها في سياقها الزمكاني، تحتمل تأويلات دينامية، قام الرجل بتأويلها كجواز تثنية الرجلين في الصلاة، كون عبد الله بن عمر ممن يقتدى بهم، فلذلك امتثل الرجل فعله. وهذا التأويل يحتمل الصدق ويحتمل الكذب. وبهذا، تكون العلامة في (الثانوية) فردية قرينية تصديقية.

عندما انتهت الصلاة دار حوار من خلال العلامات اللسانية بين الرجل وعبد الله بن عمر توصَّل الرجل من خلاله إلى أنَّ التربّع ليس من سنّة الصلاة، وأنَّ عبد الله بن عمر فعل ذلك لأنَّه مريض.

بالنظر إلى العلامتين اللسانتين الممثلتين بملفوظ الرجل: "فإنَّك تفعل ذلك"، وملفوظ عبد الله بن عمر: "فإنّي أشتكي" نجد أنَّ العلامتين عرفيتين تأكيديتين، تكونتا من إنَّ واسمها وخبرها. ليؤكد الرجل على اقتدائه بعبد الله بن عمر، وليؤكد عبد الله بن عمر على المرض الذي يشتكي منه. نلاحظ ايضًا أنَّ المسند في العلامة الأولى أتى "تفعل" وهو فعل مضارع ليدَّل على أنَّ عبد الله بن عمر يفعل ذلك في صلواته جميعها وليس في هذه الصلاة فقط. والمسند في العلامة الثانية أتى كذلك بالفعل المضارع "أشتكي" ليدلّ على أنَّ المرض مستمر مع عبد الله بن عمر وليس عارضًا لأنه أصيب في خيبر. كذلك نجد المسند إليه في العلامة الأولى "الكاف" يشير إلى المخاطب، وفي العلامة الثانية "الياء" يشير إلى المتكلم، فهما معيّنان يدلان على الانفعال ويحددان المرجعيات الفكرية والمنطلقات النفسية له، ويعبران عما يختلج في النفس من مشاعر، وهاتان العلامتان منحتا الخطاب مرجعيته، كونهما دليلان وعلاماتان لسانيتان متعلقتان بالعوامل. وبهذا، تصبح العلامة اللسانية الشمولية الأولى (دال/مدلول) (علامة عرفية) تتكون من الصورة الأكوستيكية (الدال) (الأثر النفسي لأصوات ملفوظ الرجل) (علامة وصفية نفسية)، والمفهوم (المدلول) (تربّع عبد الله بن عمر في الصلاة) (علامة فردية). والعلامة اللسانية الشمولية الثانية تتكون -

أيضًا – من الصورة الأكوستيكية (الدال) المتمثل في (أصوات ملفوظ عبد الله بن عمر)، والمفهوم (المدلول) المتمثل في (المرض).

بهذا، أصبحت العلامة متمثّلة في وجودها الواقعي، حيث قام المؤوّل التصديقي بالربط بين الممثل والموضوع، وقدّم نفسه مؤوّلًا قابلًا للإثبات، وبالتالي أصبحت العلامة في المستوى الثاني (الثانوية) قضية منطقية عملت على إقامة علاقة بين الموضوع والمحمول؛ إذ يرتبط الفهم العملي للعلامة التصديقية باعتماد تأملها داخل إطار التعالق الوجودي العام بين القرينة والأيقونة.

في (الثالثية) مثّلت العلامة موضوعها بخصائصه بوصفه علامة، وصاغت عبره قانون أو قاعدة ارتباط الممثل بالمؤوّل المتمثل في عدم الجواز للمصلي صحيح الجسم الذي لا يشتكي التربع في الصلاة، وأصبح التربع في الصلاة رمزًا للمرض والاشتكاء من وجع في الرجلين. وبهذا، تكون العلامة كاملة دائمة الصدق، ممثل يحيل على موضوع عبر مؤول. فهي في هذا المستوى، عرفية رمزية حجية.

يحمل لنا هذا الحديث - بعلاماته اللسانية وغير اللسانية - رسالة مفادها أنَّ الدين الإسلامي دين يسر وليس دين عسر، فقد سهّل على المريض أن يجلس متربّعًا في صلاته، وأن يصلي على حسبما يقدر، لأنَّ الله لا يكلّف نفسًا إلا وسعها. وفي الوقت نفسه فإنَّ الصلاة هي عمود الدين، والعبد يكون في أثنائها في حالة تواصل مع ربه، ويجب عليه أن يؤديها على أكمل صورة وأن يلتزم بفرائضها وسننها.

5-6- أنموذج الإشارة بالفم:

وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي حَازِمِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلاَنِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَإِذَا **فَتًى شَابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَايَا**، وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوا إِلَيْهِ وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَّرْتُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، قَالَ: فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلاَتَهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ لِلَّهِ. فَقَالَ: آللَّهِ ؟ فَقُلْتُ: آللَّهِ. فَقَالَ: آللَّهِ ؟ فَقُلْتُ: آللَّهِ. فَقَالَ: آللَّهِ ؟ فَقُلْتُ: آللَّهِ. قَالَ: فَأَخَذَ بِحُبْوَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي

إِلَيْهِ وَقَالَ: أَبْشِرْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: " قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ،وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ،وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ،وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ(57).

دخل أبو إدريس الخولاني مسجد دمشق فوجد فتًى شابًّا برَّاق الثنايا، فسأل عنه، فقيل: هذا معاذ بن جبل. إنَّ العلامة (برَّاق الثنايا) بهذه الصفة باعتبارها ممثّلًا، هي علامة كيفية. والعلامة الكيفية على الرغم من كونها واقعية، فإنَّه لا يمكنها أن توجد إلا متحققة في موضوع. وبالنظر إلى الموضوع الذي يمثله الممثِّل، فإنَّ العلامة أيقونة، إذ تحيل على موضوعات قابلة لأن يتعرف عليها ويماثلها كل عنصر من عناصر العلامة: ثنايا كثيرة اللمعان في فم فتًى شاب. وعليه فإنَّ هذه العلامة معزولة عن سياقها، لا تقبل التأويل إلا على المستوى الأول من التأويل (الأولية) للمؤوَّل. فهي خبرية. ولا تقول أكثر مما تسمح لها بقولها طبيعتها الخبرية. فالعلامة في هذا المستوى، كيفية أيقونية خبرية.

وإذا ما وضعنا العلامة في سياقها المادي، فإنَّ العلامة هي وصف للصحابي معاذ بن جبلالفتى الشاب، وهو جالس في المسجد، والناس يجلسون بجنبه وأسنانه تبرق من شدة اللمعان، فهي فردية لأنَّها موجودة. وقرينية لأنها ترتبط بعلاقات دينامية مع موضوعها من جهة، ومع مؤوَّلاتها من جهة أخرى، فالعلامة في المستوى الثاني من التأويل (الثانوية) تحتمل تأويلات دينامية متعددة، من نحو طلاقة الوجه، وبياض الثغر، وكثرة الاستبشار، وكثرة التبسّم. وبهذا، أصبحت العلامة قابلة لأن ينظر فيها باعتبارها علامة قابلة لأن تثبت أو أن تنفى. فالعلامة في هذا المستوى فردية قرينية تصديقية.

ذلك أنَّ بروق الثنايا علامة إشارية جسدية تبعث المتلقي على تصور الأثر النفسي الناتج عنه، الذي هو طلاقة الوجه وكثرة التبسّم، والاستبشار، ولقد كان هذا الأثر النفسي قد بدت آثاره المادية واضحة جلية على ملامح الوجه التي تضافرت مع بيان الحال بأنه مبتهج ومبتسم.

فالعلامة اللسانية التي نقلت لنا العلامة الإشارية (برَّاق الثنايا) جاءت بصيغة المبالغة للدلالة على أنَّ التبسُّم هو طبع وصفة ملازمة للصحابي الجليل معاذ بن جبل - رضي الله عنه – وتتكرر بكثرة، وليست آنية وتدلّ على دوام الابتسام وكثرته.

إنَّ العلامة الإشارية (برَّاق الثنايا) أحالت على موضوعها الذي عيّنته (التبسّم والبشاشة والسرور) بفضل وجود قانون (عرف)، الذي أصبح يشكّل رمزًا له. وبهذا، أضحت العلامة دائمة الصدق. فهي عرفية رمزية حجية.

دخل الخولاني المسجد فوجد الصحابي الجليل ووجهه يشرق من الضياء والابتسام، والناس تلتفّ حوله، وإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه، فهذه الجملة مصاغة في أسلوب الشرط بأداته "إذا" التي لا تكون غالبًا إلا في الأمور التي يتحقق وقوعها، كما ذكر النحاة، فهذا يدلّ على أهمية الصحابي الجليل معاذ بن جبل في الفتوى بين الناس وإصلاح ذات بينهم، واعتماد الناس عليه في حل المشكلات التي تعتريهم.

فلما رأى الخولاني هذه الصفات التي يتحلّى بها الصحابي الجليل، قد أثّرت في نفسه، سأل عنه، وقيل له: هذا معاذ بن جبل. فاسم الإشارة (هذا): علامة فردية قرينية خبرية، وهو موجه لا يرتبط مع موضوعه ارتباطًا سببيًّا، بل يشتغل في حضور الموضوع المشار إليه (معاذ)، وهو من المؤشّرات السياقية التي يشتغل مؤوَّلها كتعريف، إذ يسميها بورس المؤشِّرات المنحلّة.

وفي اليوم التالي ذهب إلى المسجد مبكِّرًا للقائه، فانتظره حتى قضى صلاته، فأتاه من قبل وجهه فسلّم عليه. فالعلامة الجسدية (من قبل وجهه) أتت لتدلّ على الاحترام الكبير الذي يكنّه الخولاني للصحابي الجليل. ثُمَّ أكّدها بالعلامة اللسانية "والله إنّي لأحبك لله" فاستخدم أسلوب القسم وإنَّ واللام ليؤكد حبه العميق له. فقال معاذ: "آلله"، فردّ عليه الخولاني: "آلله" فتكرار الأيمان هنا علامة على أنَّ الأيمان كانت تجري على ألسنتهم على معنى تحقيق الخبر ويؤكِّد بتكرارها واستدعاء تأكيدها كما بيّن ذلك الباجي في المنتفى (58).

وقوله: "فأخذ بحُبوة ردائي " يريد أنه أخذ بطرفي ردائه مباشرة بدليل استخدام المكوّن حرف العطف الفاء الذي يفيد الترتيب والتعقيب، واستُخدِم ضمير الغيبة هنا للإحالة على عنصر متقدم في الخطاب (معاذ)؛ الأمر الذي أدى إلى اتساق الخطاب وانسجامه. وقوله: "وجبذني إلى نفسه" دلالة على معنى التقريب والتأنيس وإظهار القبول

لما أخبر به وتبشيره بما قاله النبي - صلى الله عليه وسلم - عن المتحابين في الله. فبشّره الصحابي، من خلال العلامة اللسانية "أبشر" الأسلوب الإنشائي الطلبي، بالموافقة على قبول طلبه من جهة، وبما قاله النبي عليه الصلاة والسلام من جهة أخرى.

أما قوله "فإنّي سمعت رسول - صلى الله عليه وسلم - يقول: قال الله عزَّ وجل" "فإنَّه على إضافة ما يبشِّره إلى خبر النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق عن ربه تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين لتحقيق أبي إدريس ما أخبره به وتثق نفسه به فتتأكّد بصيرته ومذهبه في ذلك"(59).

وقوله صلى الله عليه وسلم: " وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ" علامة عرفية نفسية تتكون من أصوات ملفوظات النبي - صلى الله عليه وسلم - (الدال)، التي تدلّ على إثبات الثواب الجزيل للذين يكون جلوسهم في ذات الله، والذين يقيمون حدوده ويوفون بعهده، والذين تكون زيارتهم ابتغاء مرضاته ومحبة وجهه الكريم، والذين يبذلون أنفسهم في سبيله وفي جهاد عدوه (المدلول).

لذلك فالأمر لا يتعلق برؤية شخص مبتسم، إنّما يتعلق الأمر بالنتائج المترتبة على هذا التبسّم الذي جعل الآخرين يتقربون منه، وتدخل محبته في قلوبهم؛ الأمر الذي أدى إلى الحب في الله والتعاون على طاعته، فمحبة هذا المخلوق قادت إلى محبة الخالق، وأن يكون الحب والتزاور والتباذل والتجالس في ذاته، لذلك خاطب الله تعالى نبينا عليه الصلاة والسلام بقوله: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}(60) حيث قدّمت لنا العلامة الحجة المنطقية على أهمية التبسّم في وجوه الآخرين.

فهذه رسالة موجهة إلى المسلمين كافة أن يتحلّوا بصفة التبسُّم وأن يبتعدوا عن فظاظة القلب من أجل أن يقبلهم الناس، ومن أجل أن يقتنعوا بكلامهم، وأن يكونوا قدوة لهم، وخصوصًا أصحاب الديانات الأخرى لكي يحبّوا المسلمين ويكون ذلك سببًا مقنعًا لهم لدخول الإسلام. ينضاف إلى ذلك محبتنا لبعضنا المفروض أن تكون في الله وليس من أجل المصالح الدنيوية الزائل.

5-7- أنموذج الإشارة بالأذن:

وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ، عَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ : أَنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم -، وَهِيَ خَالَتُهُ، قَالَ : فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوِسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ، أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم -، فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ مُعَلَّقٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهُ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي، **وَأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمْنَى يَفْتِلُهَا**، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ (61).

لقد استجاب ابن عباس – رضي الله عنه - للأعمال التي فعلها الرسول - صلى الله عليه وسلم -، منذ أن استيقظ في منتصف الليل حتى قام في الصلاة، بالاقتداء به، فصنع مثل ما صنع. فقوله: "فجلس يمسح النوم عن وجهه" علامة إشارية جسدية تضافرت فيها إشارة اليد مع إشارة الوجه، أي يمسح بيده عينيه، من إطلاق اسم الحال على المحل؛ لأنَّ المسح إنما يقع على العين، والنوم لا يمسح. أو المراد يمسح أثر النوم من إطلاق السبب على المسبب (62). وقال الباجي: إنَّ ذلك يحتمل أمرين: أحدهما: إزالة النوم من الوجه، والثاني: إزالة الكسل بمسح الوجه (63).

قام ابن عباس إلى جنب النبي - صلى الله عليه وسلم - من جهة اليسار؛ ليصلّي معه، فوضع عليه الصلاة والسلام يده الكريمة على رأسه، فقول ابن عباس: "فوضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يده اليمنى على رأسي" علامة إشارية جسدية، اشترك فيها عضوان من الجسد اليد والرأس، تدلّ على أنه أداره فجعله عن يمينه.

أما العلامة الإشارية الجسدية المتمثلة في الملفوظ: "وأخذ بأذني اليمنى يفتلها"،

فتبدو زمرة من العلامات الكيفية المتجسدة في علامة فردية. فالعلامات الكيفية هي كل الأوصاف المتحققة في هذه العلامة، والتي تجعل فردانيتها علامة فردية.

لا يمكن أن نقول شيئًا عن موضوع هذه العلامة دون النظر إلى المؤوَّل الذي يحيل الممثل على موضوع يمثله. ثُمَّ إنَّ المؤول المباشر لا يمكن أن يقول شيئًا - أيضًا – عن الموضوع المباشر لعملية تدليك الأذن. فهذا الموضوع هو إحساس أولي أو انفعال أو شعور، فالممثل يتشكّل من علامات كيفية، ذات موضوع أيقوني، فكل علامة أيقونية بسيطة تشير إلى وجود بنية عميقة بالمعنى المعروف عند تشومسكي تحت البنية السطحية للجملة(64). لكنها ذات مؤوَّل خبري؛ لأنه علامة بسيطة أو معوَّضة، وهو ليس صادقًا ولا كاذبًا، وهو قضية متروك مكان حدها فارغًا. إذن، فالعلامة في المستوى الأول من التأويل كيفية أيقونية خبرية.

فالمؤوَّل الديناميي يمكن أن يقول بشكل مباشر مجموعة من الأشياء عن الموضوع المباشر للعلامة الإشارية " تدليك الأذن" بوصفها شيئًا أو حدثًا موجودًا وواقعيًا في شكل علامة، أي حدث فردي. فطبيعة الموقف الذي حدثت فيه العلامة كونه صلاة في منتصف الليل، يعدّ قرينة تمكّن المؤوَّل الديناميي من الإمساك بالموضوع، لكن دون أن تسميه فيبقى خبرًا.

وإذا ما وضعنا الآن هذه العلامة الإشارية في سياقها بوصفها موضوعًا ديناميًّا، فإنَّها تحتمل مجموعة من التأويلات: فعلامة تدليك الأذن تحتمل أنَّ يسير العمل في الصلاة لا يمنع صحتها، وأنَّ الرسول- صلى الله عليه وسلم - فعل ذلك تأنيسًا له، أو من أجل إيقاظه، وتنبيهه، وفتل الأذن خارج هذا السياق قد يعني التهديد أو التوبيخ أو التأنيب. فالعلامة خارج أي سياق لا تقول شيئًا، لذلك عندما وضعنا العلامة في سياقها أصبحت تحيل على الموضوع الذي أشارت إليه؛ لأنَّها فعليًّا متأثرة به، وهو الموضوع الفريد والوحيد الذي تملك صفته. فالعلامة في المستوى الثاني من التأويل أصبحت علامة تشكّل بالنسبة إلى مؤوّلها علامة وجود واقعي، وهي تناسب الفضية الإسنادية، وتحتمل الصدق أو الكذب، فهي فردية قرينية تصديقية.

فحينما يدخل الموضوع الدينامي في حقل المؤوَّل النهائي، يمكنه أن يستقبل تأويلات إبعادية واستقرائية واستنباطية. وبهذا تدخل العلامة في نسق المؤوَّل النهائي الذي تظهر فيه علامة تدليك الأذن في مقام تواصلي (الصلاة) لا كأيقونة ولا كقرينة ولكن كرمز وهو اسم آخر لعلامة القانون، أي العلامة العرفية.

فالعلامة الإشارية - بحكم الممارسات السيميائية والعرف الديني - أصبحت رمزًا للاستيقاظ، وأضحت علامة حجية دائمة الصدق، ومكتملة، ممثل يحيل على موضوع عبر مؤوَّل. وبهذا، فالعلامة في المستوى الثالث من التأويل عرفية رمزية حجية.

ينبه نبينا - صلى الله عليه وسلم - على مجموعة من الأمور المهمة في هذا الحديث الشريف، أهمها السعي وراء تعلم العلم والاقتداء بالنبي - صلى الله عليه وسلم -، والتأكيد على أهمية صلاة الليل (النافلة)، وجواز العمل اليسير في الصلاة كوضع اليد على الرأس أو تدليك الأذن وغير ذلك من السلوكات.

نتائج الدراسة:

بعد أن طبقنا أبعاد العلامة وأصنافها ومستويات تأويلها ومقولاتها حسب نظرية بورس على النصوص المصاحبة التي اخترناها من موطأ الإمام مالك، خرجنا بمجموعة من النتائج، نوجزها في الآتي ذكره:

1- الانتفاع بالعلوم المعرفية الحديثة في إعادة قراءة نصوص الحديث النبوي الشريف، من نحو السيميائيات، وعلم النفس، وعلم المنطق، وعلم الفراسة؛ من أجل الإفصاح عن المعاني الدقيقة للنصوص المصاحبة.

2- للسياق، وقرائن الأحوال المختلفة، والاستعارة الأيقونية، أهمية في تحليل دلالة النصوص المصاحبة وتداولها.

3- تضافر النصوص اللسانية مع النصوص المصاحبة في إنتاج المعنى،وتوضيح مقاصد المتكلم.

4- تنوعت النصوص المصاحبة، في تراكيب الأحاديث النبوية الشريفة في موطأ الإمام

مالك، فكانت تكمن في النصوص المصاحبة الآتية: إشارات الوجه واليد والعين والرأس والرجل والفم والأذن.

5- تباينت دلالات النصوص المصاحبة في النماذج المختارة من موطأ الإمام مالك، فكانت على النحو الآتي: الغضب، والقرب، والإعجاب، وكسوف الشمس، ودلالة "نعم"، والغشي، والمرض، وكثرة التبسّم، والاحترام والتقدير، والاستيقاظ.

الهوامـــش والمراجـــع

* سنعتمد مصطلحات موريس الآتية (البعد التركيبي، والدلالي، والتداولي) مقابل مصطلحات بورس (البعد النحوي (Syntactical)، والوجودي (Existential) أو الفعلي (Practical)، والمنطقي (Logical)) عند الحديث عن أبعاد العلامة في البحث كاملًا.

1- حنون مبارك، دروس في السيمياء، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر،1987، 53،83.

2- محمد سالم سعد الله، مملكة النص، التحليل السيميائي للنقد البلاغي، الجرجاني نموذجًا، الأردن، جدارا للكتاب العالمي، 2007، ص..19

3- أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر. وتق. سعيد بنكراد، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط.1، 2000، .140

4- سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، سوريا، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، ط.2، 2005، ص ص.88-.89

5- Charles Hartshorne and Paul Weiss,The Collected Papers of Charles Sanders Peirce, voll.11: Element of Logic (Cambridge: Harvard University Press, 1931,CP 2.247.

6- C.S. Peirce, Philosophical Writings of Peirce, selected, Edit: Justus Bushler Dover Pub, INC. New York, 1955, P.102.

7- Charles H. & Paul Weiss, CP 2.248, 305.

8- Ibid, CP 2.249.

9- أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص..139

10- حنون مبارك، دروس في السيمياء، ص..82

11- محمد سالم سعد الله، مملكة النص، ص ص.19-.20

12- حنون مبارك، دروس في السيمياء، ص..60

13- Charles H. & Paul Weiss, CP 8.343.

14- جيرار دولودال، السيميائيات أو نظرية العلامة، تر. عبد الرحمن بو علي ، اللاذقية – سورية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط.1، 2004، ص ص.32-37.

15- ينظر: نعمة العزاوي، فصول في اللغة والنقد، بغداد، المكتبة العصرية، ط.1، 2005، ص.13؛ كوندراتوف، أصوات وإشارات: دراسة في علم اللغة، تر. أدور يوحنا، بغداد، مطبعة الجمهورية، 1971، ص.15.؛ عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص، الدار التونسية للنشر، ط.1، 1984، ص.25؛ عبدالله الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية، بيروت، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط.1، 2006، ص..68

16- محمد بنبيونس،سيكولوجياالواقعيةوالانفعالات،عمان، دارالمسيرة، ط.1،2007 ، ص340.

17- عودة عبد الله، الاتصال الصامت وعمقه التأثيري في الآخرين في ضوء القرآن والسنة، القاهرة، مجلة المسلم المعاصر، ع.112، 2004، ص ص.1-2.

18- نعيم علوية، الاختلاج اللساني، سيمياء التخطيط النفسي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1992.، ص..101

19- Gouran, D., Miller, L. and Wiethoff, Mastering Communication, Allyn and Bacon, Boston, 1992, P.106.

20- بيير جيرو، علم الإشارة، السيميولوجيا، تر. د. منذر العياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1992، ص.78.

21- عبد الفتاح الحموز، سيميائية التواصل والتفاهم في التراث العربي القديم، عمان، دار جرير للنشر والتوزيع، 2011.، ص..69

22- آلانبيز، وباربارا: المرجع الأكيد في لغة الجسد، السعودية، مكتبة جرير، 2008.، ص ص.11- 12.

23- فخر الدين الرازي، الفراسة، دليلك إلى أخلاق الناس وطبائعهم وكأنهم كتاب مفتوح، تحقيق وتعليق مصطفى عاشو،القاهرة، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع،(د.ت)، ص.82.
24- Knapp, Mark L., Hall, Judith A., Nonverbal communication in Human interaction. COPYRIGHT. USA, 2002, P.10.
25- جورجي زيدان، علم الفراسة الحديث، القاهرة، كلمات عربية للترجمة والنشر، (د.ت)، ص.114.
26- الجاحظ، البيان والتبيين،تح.فوزي عطوي،بيروت،دار صعب،ط.1، 1968، 79./1
27- الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تح. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، ط.1، 1414هـ، ص.214.
28-المرجع نفسه، ص..214
29- المرجع نفسه، ص.214.
* البيت مطلع قصيدة للبحتري يمدح الفتح بن خاقان ويعاتبه. ديوانه 149./1
30- محمد اسماعيل علوي، التواصل الإنساني، دراسة لسانية، الأردن، دار كنوز المعرفة العلمية، ط.1، 2014، ص..80
31- نتالي باكو، لغة الحركات، تر.سمير شيخاني،بيروت،دار الجيل،ط.1،1995، ص..42
32- أبو الطيب الوشاء، الموشى أو الظرف والظرفاء، تح. كمال مصطفى، القاهرة، مكتبة الخانجي، مطبعة الاعتماد، 1953، ص.82.
33- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، بيروت، دار الكتب العلمية، 1989، 108./13
34- محمد اسماعيل علوي، التواصل الإنساني، دراسة لسانية، ص..83
35- عادل مشلح، العين من النظرة إلى الدمعة في الشعر العربي، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، ع394، فبراير.2000
36- ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والإلاف، تح. إحسان عباس، بيروت،

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط.2، 1987، ص.137.
37- المرجع نفسه، ص ص.136-137.
38- أبو الطيب الوشاء، الظرف والظرفاء، ص..101
39- عبد العزيز لبيب، لغة الجسد،القاهرة،الدار المصرية للنشر والتوزيع، ط.1،2009، ص..69
40- نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، السعودية، جدة، دار المنايرة للنشر والتوزيع، ط.1، 1991، ص..53
41- عبد الفتاح الحموز، سيميائية التواصل والتفاهم، ص..288
42- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. أذن/www.ar.wikipedia.org/wiki
43- المرجع نفسه.
44- المرجع نفسه.
45- مالك بن أنس، الموطأ، تح. محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، الناشر مصطفى البابي الحلبي، 1985.، كتاب الصدقة، باب ما يكره من الصدقة، 1000/2، ح..14
46- المرجع نفسه، كتاب الشَّعَر، باب السُّنَّة في الشَّعَر، 948/2، ح..5
47- ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، علَّق عليه وأعرب شواهده الشعرية أحمد طعمه حلبي، بيروت – لبنان، دار المعرفة، ط.2001،1، 66./2
48- سورة يونس، .4
49- مالك بن أنس، الموطّأ، كتاب الحج، باب الحج عمّن يحج عنه، 359/1، ح..97
50- سورة النور، .30
51- سورة النور، .31
52- مالك بن أنس، الموطأ: كتاب صلاة الكسوف، باب ما جاء في صلاة الكسوف، 188/1، ح.4.
53- الباجي، المنتقى، شرح موطأ مالك، القاهرة، المكتبة التوفيقية،ط.2012،1، 269./2

54- ينظر: الزرقاني، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411هـ -1991، 538/1؛ البطليوسي، مشكلات موطأ الإمام مالك بن أنس، تح. طه بن علي التونسي، ج.1، لبنان – بيروت، دار ابن حزم، 1420هـ - 2000، 93./1

55- الزرقاني، شرح الزرقاني، 538./1

56- مالك بن أنس،الموطأ،كتاب الصلاة،باب العمل في الجلوس في الصلاة،89/1،ح..49

57- المرجع نفسه، كتاب الشَّعَر، باب ما جاء في المتحابين في الله، 953/2، ح..16

58- الباجي، المنتقى، 411./9

59- المرجع نفسه، 411./9

60- سورة آل عمران، .159

61- مالك بن أنس، الموطأ، كتاب صلاة الليل، باب صلاة النبي - صلى الله عليه وسلم - في الوتر، 121/1، ح..11

62- السيوطي، تنوير الحوالك، شرح موطأ مالك، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1969، 109./1

63- الباجي، المنتقى، 34./2

64- دولودال: السيميائيات أو نظرية العلامات، ص. 208.